أهمية الكتاب المقدس
للقديس يوحنا الدمشقي

إنّه الله الواحد المنادَى به في العهدين، القديم منهما والجديد، والمسبَّح والممجّد في ثالوثه هو المقصود في قول الرَّبّ: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.» (مت ٥:١٧) فإنّه هو نفسه الذي صنع خلاصنا الذي من أجله كان كلّ كتاب وكلّ سرّ، ويقول الرَّبّ أيضًا: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ ... هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يو٥:٣٥) ويقول الرسول: «اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ٱبْنِهِ» (عب ١:١-٢) **فبالرُّوح القُدُس** إذًا قد تكلّم الناموس والأنبياء والإنجيليّون والرسل والرعاة والمعلّمون.

إذًا فإنَّ «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ» (٢تي ٣:١٦) لذلك يحسن ويفيد جدًا البحث في الكتب الإلهيّة، فمثل «شَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ» (مز ١: ٣) هي النفس أيضًا المرتوية من الكتاب الإلهيّ، فتتغذّى و«تُعْطِي ثَمَرَهَا» (مز ١:٣) ناضجًا، أعني الإيمان المستقيم، وتزهو بأوراقها الدائمة الاخضرار، أعني بها أعمالها المرضيَّة لله. ونحن إذا سرنا على هدىً من الكتاب المقدّس نخطو في طريق السيرة الفاضلة والاستنارة الصافية، فنجد فيها مدعاةً لكلّ فضيلة ونفورًا من كلّ رذيلة. وعليه إذا كنّا نحبّ معرفتها تكثر فينا هذه المعرفة. وبالاجتهاد والكدّ والنعمة التي يعطيناها الله يتّم إصلاح كلّ شيء، «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ» (لو ١١:١٠) فلنقرع إذًا باب الكتب المقدّسة، الفردوس الأبهى الذكي الرائحة الفائقة العذوبة الجزيل الجمال والمطرب آذاننا بمختلف أنغام طيوره العقليّة اللابسة الله، النافذ إلى قلبنا فيعزّيه في حزنه ويريحه في غضبه ويملأه فَرَحًا لا يزول.

وهو الذي يجعل ذهننا على متن الحمامة الإلهيّة المُذَهَّب والبرّاق بجناحيها السَّاطِعَي الضِّياء (مز ٦٧: ١٣) سرًّا على الابن الوحيد وارث زارع الكرم (متّ ٢١:٣٨) العقليّ، وبالابن تبلغ به إلى الآب «أَبِي الأَنْوَارِ» (يع١:١٧). وهنا فلنقرعنّ بلا تباطؤ وبلجاجة كبرى وثبات. ولا نَكُفَّنَّ عن أنْ نقرع. وهكذا يُفتَح لنا. وإذا قرأنا مرّة ومرّتين ولم نفهم ما نقرأه فلا نملّ من أن نقرع، بل فلنثبت ونتأمّل ونسأل، لأنّه قال: «اسْأَلْ أَبَاكَ فَيُخْبِرَكَ وَشُيُوخَكَ فَيَقُولُوا لكَ» (تث ٣٢:٧)، «لَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْجَمِيعِ» (١ كو ٨:٧). لِنَغْتَرِفَنَّ إذًا من ينبوعِ الفردوسِ ماءٍ جارٍ صافٍ «يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو٤:١٤)، لنتنعمَنَّ من دون أن نرتوي من التنعّم، لأنّ النعمة في الكتب المقدّسة مجّانيَّة. وإذا استطعنا أن نجني فائدة ما ممّا في خارج هذه الكتب فليس ذلك من المحاظير. ولنكن في ذلك صيارفة حاذقين نحتفظ لنا بالذهب المعروف والصافي ونرمي منه ما كان مغشوشًا. لنأخذنّ من الكلام أجوده ونلقِ إلى الكلاب آلهتهم الهزيلة وخرافاتهم الغريبة. فإنّنا لنستطيع أن نقتني منها قوّة ضدّهم.

ملحوظة:

القديس يوحنا الدمشقي لا يرفض اقتناء المعرفة العالميّة، لكنه يحذرنا من اقتناء معرفة تشكّك خلاصنا بالمسيح؛ لنقتدي بالنحلة التي تجمع الرحيق من الأزهارِ وتبتعد عن الأشواك القاتلة.

نـــور يسوع المسيح المسيـــح
ΦΩΣ الغالب XPIΣTOY

جمعية نور المسيح — السنة الحادية والثلاثون – عدد Issue No :1651
رقم: 580 327 914 — غربي (04/06/2023) (22/05/2023) شرقي
NOUR ALMASIH / Light of Christ
Registered Society. No. 580 327 914

أَحد العنصرة العظيم المقدَّس

وتذكار القديس باسيليسكُوس الشهيد والقديس كورذوس

طروبارية العنصرة (على اللحن الثامن):
مبارك أنت أيها المسيح إلهنا يا من أظهرت الصيادين غزيري الحكمة، إذ سكبت عليهم الرُّوح القُدُس. وبهم المسكونة اقتنصت يا محب البشر المجد لك.

قنداق العنصرة (على اللحن الثامن):
لمَّا انحدر العليُّ يبلبل الألسنة فَرَّقَ الأمم مُقَسِّمًا. ولمَّا وَزَّعَ الألسنة الناريَّة دعا الكلّ الى اتّحادٍ واحدٍ. فلذلك نُمَجِّد الرُّوح الكليّ قدسهُ باصواتٍ متّفقة.

الرسالة

إلى كُلِّ الأرضِ خَرجَ صوتهم السَّموات تُذيع مجد الله

فصل من اعمال الرسل القديسين الاطهار (٢:١-١١)

لمّا حلّ يوم الخمسين كان الرسل كلُّهم معًا في مكانٍ واحد ✻ فحدث بغتةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تعصِف، وملأَ كلَّ البيت الذي كانوا جالسين فيهِ ✻ وظهرت لهم أَلسنةٌ متقسّمة كأنَّها من نارٍ فاستقرَّت على كل واحدٍ منهم ✻ فامتلأُوا كلُّهم من الروحِ القُـدس وطفِقوا يتكلَّمون بلغاتٍ أخرى كما أعطاهم الرُّوح أن يَنطِقُوا ✻ وكان في أورشليم رجالٌ يهود أتقياءُ من كل أُمَّةٍ تحت السماءِ ✻ فلمَّا صار هذا الصوت اجتمع الجمهور فتحيَّروا لأَنَّ كُلَّ واحدٍ كان يسمعهم ينطقون بلغتهِ ✻ فدُهشوا جميعهم وتعجَّبوا قائلين بعضهم لبعضٍ: أَلَيْسَ هؤُلاءِ المتكلّمون كلُّهم جليليّين؟ ✻ فكيف نسمع كلٌّ منَّا لغتهُ التي وُلد فيها؟ ✻ نحن الفَرتيين والماديّين والعيلاميّين وسكَّان ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية وبُنطُس وآسية ✻ وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيَّة عند القَيْروان والرومانيين المستوطنين ✻ واليهود والدخلاءَ والكريتيين والعرب، نسمعهم ينطقون بأَلسنتنا بعظائِم الله.

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس يوحنا الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (يوحنا ٧:٣٧-٥٢ و ٨:١٢)

في اليوم الآخِر العظيم من العيد كان يسوع واقفًا فصاح قائلًا: إن عَطِشَ أحدٌ فليأتِ إِلَيَّ ويشرب ✻ من آمن بي فكما قال الكتاب ستجري من بطنه أنهار ماءٍ حيٍّ ✻ (إنَّما قال هذا عن الرُّوح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوهُ إذ لم يكن الرُّوح القُدُس بعدُ. لأنَّ يسوع لم يكن بعد قد مُجِّد) ✻ فكثيرون من الجمع لمَّا سمعوا كلامهُ قالوا: هذا بالحقيقة هو النبيُّ ✻ وقال آخرون: هذا هو المسيح ✻ وآخرون قالوا: أَلعلَّ المسيح من الجليل يأتي؟ ✻ أَلَمْ يقُل الكتاب انه من نسل داود من بيت لحم القرية حيث كان داود يأتي المسيح؟ ✻ فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلهِ ✻ وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يدًا ✻ فجاءَ الخُدَّام إلى رؤَساء الكهنة والفريسيين، فقال هؤُلاءِ لهم: لِمَ لَمْ تأتوا بهِ؟ ✻ فأجاب الخدَّام: لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثل هذا الإنسان ✻ فأجابهم الفريسيون: ألعلَّكم أنتم أيضًا قد ضللتم؟ ✻ هل أحدٌ من الرؤَساءِ أو من الفريسيِّين آمن بهِ؟ ✻ امَّا هؤُلاءِ الجمع الذين لا يعرفون الناموس فهم ملعونون ✻ فقال لهم نيقوديمُس الذي كان قد جاءَ اليه ليلًا وهو واحدٌ منهم: ✻ ألعلَّ ناموسنا يدين إنسانًا إن لم يسمع منهُ أولًا ويَعلم ما فعل؟ ✻ أجابوا وقالوا لهُ: ألعلّك أنت أيضًا من الجليل؟. ابحث وانظر انَّهُ لم يَقُمْ نبيٌّ من الجليل ✻ ثم كلّمهم أيضًا يسوع قائلًا: أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة.

الماء الحيّ عند آبـاء الكنيسة العظامّ

يُعلن الرَّبّ يسوع بوضوح، في إنجيل اليوم المستلّ من **القدّيس يوحنا اللآهوتيّ**، أنّه هو الينبوع الذي منه تخرج أنهار من الماء الحيّ. أمّا الماء الحيّ فليس سوى **الرُّوح القُدُس** الذي سيناله المؤمنون به يوم العنصرة المقدّس. ويؤكّد **القدّيس يوحنا اللآهوتيّ** في مواضع عدّة من كتاباته ارتباط رمز «**الماء الحيّ**» بالرُّوح القُدُس، كما ورد، على سبيل المثال، في سفر الرؤيا: «وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ. فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، شَجَرَةُ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمَرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الأُمَمِ.» (رؤيا٢٢:١-٢).

يلاحظ **القدّيس كيرلّس الأورشليميّ** أنّ من جوف المسيح «سوف تدفق أنهار ماء حيّ. لا أنهار حسّيّة تروي أرضًا تنبت أشواكًا وعلّيقًا، بل أنهار تنير النفوس». ثمّ يتساءل **القدّيس كيرلّس الأورشليميّ**: لماذا دعا النعمة الروحيَّة ماءً؟ ويجيب قائلًا إنّ الماء قوام كلّ شي، «فالماء يُحيي النبات والحيوان. لأنّه من السماء يهطل ماء المطر؛ فينزل في شكل واحد، لكنه ينتج أشكالًا متنوّعة. نبع واحد يروي الفردوس كلّه، ومطر واحد ينزل على العالم كلّه، فيصير أبيض في الزنبقة، وأحمر في الوردة، وأرجوانيًّا في البنفسج والياسمين، ويتنوّع بتنوّع الأشكال. وهو في النخلة يختلف عنه في الكرمة وفي كلّ شيء، على أنّه واحد غير متباين. فالمطر لا يتغيّر، فلا ينزل تارةً بشكل وطورًا بشكل آخر. لكنّه يتكيّف بتكيّف العناصر التي تتقبّله، فيأتي لكلّ منها بما يلائمه».

بعد هذا التوصيف البديع **للقدّيس كيرلّس** الذي لم يقصد من توصيفه سوى الكلام على مواهب الرُّوح القُدُس وتنوّعها، بحيث إنّ كلّ إنسان يتلّقى موهبته من الله كما تتلَقَّى الأرض العطشى المطر من السماء فتُزهر وتُنبت ثمرًا طيّبًا. وفي ذلك يتابع **القدّيس كيرلّس الأورشليميّ** قائلًا: «هكذا الرُّوح القُدُس أيضًا، فهو واحد في النوع، لا ينقسم، يوزّع النعمة على كلّ واحد كما يشاء. وكما أنَّ الشجر الجافّ، إذا ارتوى بالماء أزهر، كذلك هي حال النفس في الخطيئة، بالتوبة تصبح جديرة بالرُّوح القُدُس وتنبت فروع بِرٍّ. ومع أنّه واحد في النوع، إلَّا أنّه يأتي بفضائل كثيرة بمشيئة الله، وباسم المسيح. فيستخدم لسان إنسان للحكمة، وينير نفس الآخر في النبوءة؛ فيؤتي هذا سلطانًا لطرد الشياطين، ويؤتي ذاك تفسير الأسفار الإلهيَّة. يقوّي التعقُّل في هذا، ويعلّم ذاك الإحسان؛ يعلّم الواحد الصوم والزهد، والآخر ازدراء أمور الجسد، ويعدّ الآخر للاستشهاد. إنّه يختلف في الآخرين، ويظلّ هو هو في ذاته».

يرى **القدّيس كبريانُس اسقف قرطاجة** أنَّ المقصود بـ «**الماء الحيّ**» إنّما هو الرُّوح القُدُس الذي يناله المؤمنون في سرّ المعموديّة، فيقول: «بما أنّ الرُّوح يُعطى في المعموديّة، فالذين ينالون المعموديّة ضمنوا الرُّوح القُدُس، لذلك يسرعون إلى أن يشربوا كأس الرَّبّ». «**الماء الحيّ**» الذي يناله المؤمنون يصير فيهم ينبوعًا يستقي منهم الآخرون، فالرَّبُّ يسوع يحثّ كلّ بشريّ على الإيمان به، أي أن كلّ مَن يؤمن به سيمتلئ نعمة كَنهرٍ يدفق من جوفه فيمدّه ويمدّ الآخرين أيضًا. فبعد أن نال الرسل القدّيسون الرُّوح القُدُس أمدّوا الآخرين بالشُّكر على ما نالوه من عطايا.

«لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.»(يو٧:٣٩). تعليقًا على هذه الآية يقول **المغبوط أوغسطينُس أسقف هيبّون (عنّابة حاليًّا)**: «عندنا أدلّة كثيرة على الرُّوح القُدُس قبل أن يتمجّد الرَّبّ بقيامته بجسده. والرُّوح كان في الأنبياء فأنبؤوا بمجيء المسيح». غير أنّ **القدّيس كيرلّس الإسكندريّ**، مع إقراره بوجود الرُّوح القُدُس قبل أن يُمجَّد يسوع، يؤكّد أنّ ما تحقّق بعد تمجيد يسوع إنّما هو «السكنى الكاملة للرُّوح القُدُس في البشر». وفي هذا السياق، يتابع **القدّيس كيرلّس الإسكندريّ** قائلًا: «كان الرُّوح القُدُس في الأنبياء كي يتنبّؤوا، والآن يقيم بالمسيح في المؤمنين، بعد أن أقام في المسيح أوّلًا بعد أن صار بشرًا. فلكون المسيح إلهًا له الرُّوح في كلّ حين، فالرُّوح هو من جوهره، بل هو روحه. المسيح يُمسح من أجلنا، وكإنسان ينال الرُّوح، كما يقال، لا ليشارك في اقتناء الصالحات الإلهيّة، بل من أجلنا ومن أجل طبيعة الإنسان».

أمّا **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم** فيوضح المعنى من هذا الإنجيل بقوله: «يعترف الجميع بأنَّ عطيَّة الأنبياء كانت من الرُّوح القُدُس. إلَّا أنَّ هذه النعمة كانت قصيرة الأمد ففارقت الأرض من ذلك اليوم. فغادر الرُّوح القُدُس، لكن كان يُرتجى أن ينزل بغزارة. بدءُ ذلك كان بعد الصليب، فنزلت العطايا بوفرة وعظمة وبشكل معجز... في القديم نالوا الرُّوح، لكن لم يعطوه للآخرين، أمّا الرسل فملأوا به ربوات من الناس. وبما أنّهم كانوا سينالون هذه العطيّة، فإنّما لم تكن قد أعطيت بعد. ولأن الرَّبّ تكلّم على هذه النعمة، فالإنجيليّ يقول: ولمّا لم يكن رُوح، لأنّ يسوع لم يكن قد مُجّد. فدعا الصليب مجدًا».

«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا ٨:١٢). أن نقتفي تعاليم الرَّبّ يسوع نجد نور الحياة الذي يقودنا إلى الارتواء من الرُّوح القُدُس، الماء الحيّ، عبر اشتراكنا في الأسرار الإلهيّة التي تقودنا إلى الحياة الأبديَّة. فطوبى لمَن يحيا في النور والماء.